

«الجامعُ الصَّحِيحُ» للإمام البخارى

بقلم الدكتور الحسين عبد المجيد هاشم

فى بيت مبارك عطره والده اسماعيل بالعلم والتقوى فقد كان كما يقول الذهبى (٣) من العلماء العاملين والنبلاء الورعين .

خرج اسماعيل من وطنه حاجا قبل (سنة ١٧٩) وتقابل مع امام المدينة مالك بن أنس وعبد الله ابن المبارك وحدث عن أبى معاوية بن صالح وجماعة من المحدثين وروى عنه أحمد بن حفص وغيره من العراقيين واتسم بين المحدثين بأنه ثقة ترجم له ابن حبان فى كتاب الثقات كما ترجم له ولده امامنا البخارى فى التاريخ الكبير (٤) .

وقد بلغ اسماعيل درجة فى الورع تدعو الى الاجلال والاكبار اذ كان يبتعد عن الشبهات ، أنعم الله عليه بثروة طائلة طهرها من الشبهات واستثمرها فى الخيرات . روى عن أحمد بن حفص قال : دخلت عليه عند موته فقال : لا أعلم فى جميع مالى درهما من شبهة فتصاغرت الى نفسى بعد ذلك .

تألفت شخصية البخارى فى عالم الحديث وفى سماء المجد العلمى فكان صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله (الجامع الصحيح) فمن هو البخارى ؟ وما نسق كتابه ؟

هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه (١) الجعفى ولواء البخارى مولدا والجعفى نسبة الى اليمان الجعفى الذى شرف الله جده المغيرة بالاسلام على يده فانتسب اليه بولاء الاسلام وسرى منه الى سلالته . ومنهم امامنا البخارى .

وقد أراد الله لمدينة بخارى (٢) - وهى من أعظم مدن ماوراء النهر « نهر جيحون » قرب سمرقند من بلاد فارس - أن يرفع ذكرها ويخلد اسمها وضاء فولد بها أبو عبد الله محمد بن اسماعيل يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة (١٩٤) هـ

(١) بردزبه : فارسى مناه بالعربية الزارع أو البستاني .

(٢) بخارى الآن تحت نفوذ الاتحاد السوفيتى بولاية

أوزبكستان من المستعمرات الروسية فى آسيا الوسطى ويقام بها العيد الألفى للبخارى فى هذه الأيام .

(٣) سيرة أعلام النبلاء للذهبي ص ٢٢٤ مخطوط بدار

الكتب المصرية .

(٤) تاريخ البخارى ج ١ ص ٢٤٣ - طبع الهند ١٣٧ هـ .

واستقبل منزل الحديث والتقوى والشراء
العريض محمد بن اسماعيل وقرت به عين والديه
— طفلا صغيرا ثم ما لبث الوالد أن توفي وترك
ابنه محمدا في مرحلة الطفولة مع أمه التقيّة
النابغة تحبوه بعطفها وتركز فيه آمالها . وإلى أية
وجهة تتجه به غير نهج والده الذي ترك لها مع
ثراء المال ثراء العلم يفوح أريجيه في أرجاء البيت
مثلا تطبيقية زاكية كما تركه مسطورا في كتبه
الجامعة ذخيرة هادية فوجته الى الكتاب ليدرس
مع أقرانه الكتابة والقراءة والقرآن الكريم
والحديث الشريف .

وما ان شب الوليد وبلغ العاشرة حتى ظهرت
مخايل الذكاء والنجابة فيه بصورة واضحة نادرة
في هذا الوقت المبكر من سنى حياته في المكتب
سنة ٢٠٥ هـ ويسره الله لما خلق له فألهمه حفظ
الحديث على حد تعبيره الدقيق يحدث محمد بن
أبى حاتم الوراق قال : قلت لأبى عبد الله محمد
ابن اسماعيل البخارى كيف كان بدء أمرك فى
طلب الحديث ؟

قال : ألهمت حفظ الحديث وأنا فى الكتاب
قال : كم أتى عليك اذ ذاك ؟ قال عشر سنين (١)
وحيثما يبلغ سن الحادية عشرة تكبر همته
فلا يسعها رحاب الكتاب فيطلب لها أفقا أوسع
وأرحب جغرافية وطنه يتردد على أئمة الحديث
أينما وجدوا فى دائرة وطنه لينهل من مواردهم
حاملا عقلا نقادا وذاكرة واعية وخلق كريم
فاكتسب بذلك ثقة دفعته لأن يقف وهو ملء السمع
والبصر بقوته العلمية المبكرة يصحح ما يخطئ
فيه أستاذ من عمالقة الحديث وهو أستاذ الداخل
يدخل معه فى مناقشة علمية بريئة تهدف الى الحق

(١) تاريخ بغداد والطبقات الكبرى لابن السبكي .

وتنتهى بتسليم أستاذه الداخل له وكتابة ما أرشده
البخارى الى تصحيحه ويحدثنا البخارى رضى الله
عنه عن ذلك يقول : « ثم خرجت من الكتاب بعد
العشر أختلف الى الداخل وغيره فقال يوما فيما
كان يقرأ على الناس « سفیان عن أبى الزبير «المكى»
عن ابراهيم النخعى فقلت له : يا أبا فلان ان أبا
الزبير لم يرو عن ابراهيم فاتهرنى فقلت له : ارجع
الى الأصل ان كان عندك . فدخل ونظر فيه ثم
خرج فقال : كيف هو يا غلام ؟ فقلت هو الزبير بن
عدى عن ابراهيم فأخذ القلم منى وأحكم كتابه
فقال صدقت فقال له بعض أصحابه : ابن كم كنت
اذ رددت عليه ؟ فقال : ابن احدى عشرة (١) وفى
كل يوم يزداد فتى بخارى علما ويزداد تقدير
مشايخه له ولما بلغ السادسة عشرة من عمره حفظ
كتب ابن المبارك ووكيع وهما المحدثان المشهوران
بمكائتهما العلمية .

رحلة البخارى فى طلب العلم

رأى البخارى فى نفسه نهما علميا لا حد له
يزكيه استعداد فطرى منقطع النظير وروح دينية
عالية وتوجيه من أم صالحة تربت فى بيت كريم
واتمء الى محدث ثقة وفوق كل ذلك الهام الله
وعنايته الذى هداه الى الصراط المستقيم فطار
على أجنحة همة عالية يطوف فى أرجاء الدنيا طالبا
للحديث ورجاله . وبدأ الرحلة المباركة بمكة
المكرمة مهبط الوحي ومنبت الرسالة وفى موسم
الحج لتأدية فريضة الحج أخذ معه المريية الفاضلة
أمه وأخاه أحمد الذى يكبره سنا وكان ذلك سنة
٢١٦ هـ وعمره ست عشرة سنة يقول البخارى
خرجت مع أمى وأخى أحمد الى مكة ، فلما
حججت رجع بها أخى وتخلفت فى طلب الحديث
وهناك سمع من أئمة مكة أمثال أبى الوليد

وازاء هذا المجهود الضخم في الرحلات لا تستغرب قوله « كتبت عن ألف وثمانين نفسا ليس فيهم الا صاحب حديث » وقوله « كتبت عن ألف شيخ أو أكثر ما عندي حديث لم أذكر اسناده » .

قوة حفظه وامتحان البغداديين له

عقد أهل بغداد امتحانا معضلا في مدينة العلم والعلماء فاجتازه بمهارة مذهلة . عن احمد بن الحسن (٢) الرازي قال سمعت أبا أحمد بن عدي يقول : سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن اسماعيل البخارى قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعددوا الى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدھا ودفعوها الى عشر أنفس لكل رجل عشرة أحاديث وأمروهم اذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخارى وأخذوا العدة للمجلس فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب اليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخارى « لا أعرفه » فسأله عن آخر فقال « لا أعرفه » فما زال يلقي عليه واحدا حتى فرغ من عشرته والبخارى يقول لا أعرفه فكان الفهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون : الرجل فهم ومن كان منهم غير ذلك يقضى على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الفهم ثم انتدب آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال البخارى لا أعرفه فسأله عن آخر فقال لا أعرفه فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد الآخر حتى فرغ من عشرته والبخارى يقول

أحمد بن محمد الأزرقى واسماعيل بن سالم الصايغ ثم رحل الى المدينة المنورة دار الهجرة ومثوى صاحب الرسالة ليزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم ويجمع العلم من أهله أحفاد الصحابة الذين حرسوا الرسالة وسلموها الى أولادهم التابعين وتوارثوها جيلا جيلا نقية طيبة ومكث بالمدينة سنة صنف فيها في رحاب المسجد النبوى كتابين هما « قضايا الصحابة والتابعين » و « التاريخ الكبير » ثم واصل الرحلة في عصر لم تظهر فيه المواصلات السريعة فتراه يرحل على ظهر المطى من بلد الى آخر طالبا لحديث رسول الله تحلق به قوة علوية في سماءات أرجاء العالم الاسلامى راويا وحافظا ومصنفا ومحدثا راجيا من الله أن يجعل له البركة والقبول للمسلمين في مصنفاته . يقول البخارى « وأقمت (١) بالبصرة خمس سنين مع كتبى أصنف وأحج وأرجع من مكة الى البصرة وأنا أرجو الله أن يبارك للمسلمين في هذه المصنفات ويقول « دخلت الشام ومصر والجزيرة مرتين والى البصرة أربع مرات وأقمت بالحجاز ستة أعوام ولا أحصى كم دخلت الكوفة وبغداد مع المحدثين » .

فالبخارى رحالة الحديث تجذبه السنة بما لها من تأثير وحيشا كانت اتجه البخارى ووضع رحاله واستوطن حتى حصلها والمدن كلها في نظره سواء قربت أو بعدت . مكة - المدينة - الشام - بغداد - واسط - البصرة - الكوفة - مصر - بخارى - مرو - هراة - نيسابور - قيساربة - عسقلان - حمص - خراسان (٢) .

(١) الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٠

(٢) مقدمة شرح البخارى للنووى ص ٦

(٣) مقدمة فتح البارى لابن حجر ج ٢ ص ٢٠٠

لا أعرفه ثم انتدب اليه الثالث والرابع الى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المطلوبة والبخارى لا يزيدهم على أن يقول « لا أعرفه » فلما علم البخارى أنهم قد فرغوا التفت الى الأول منهم فقال أما حديثك الأول فهو كذا والثانى فهو كذا .. والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن الى اسناده وكل اسناد الى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك ورد متون الأحاديث كلها الى أسانيدها وأسانيدها الى متونها فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل (١) قال الحافظ بن حجر وهنا يخضع للبخارى فما العجب من رده الخطأ الى الصواب فانه كان حافظا بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه من مرة واحدة . واذا علمنا أن الامتحان كان من علماء بغداد فى عصرها الذهبى الزاهر بعلماء الاسلام ازداد تقديرنا لمواهب البخارى العلمية ومن هذا الامتحان الذى اجتازه البخارى يتبين بوضوح أن البخارى كان موسوعة علمية بمعرفة جميع الأحاديث بأسانيدها ومتونها ولهذه المقدرة العلمية حاز ثقة العلماء فالتفت حول مجلسه عشرات الآلاف ينهلون من فيضه وشهدوا له بالحفظ والنسب . عن صالح بن محمد البغدادى يقول : كان محمد بن اسماعيل يجلس ببغداد وكنت أستملى عليه ويجتمع فى مجلسه أكثر من عشرين ألفا وقال عمرو بن على : حديث لا يعرفه محمد بن اسماعيل ليس بحديث .

عزة العلماء وموقفه من أمير بخارى

بعد فترة أقامها البخارى فى نيسابور قدم على بلدته بخارى فاستقبل أروع استقبال ونصبت له

القباب على فرسخ من البلد واستقبله عامة أهل البلد وثر عليه الدراهم والدنانير والتف حوله الناس فى مجلسه ، فى المسجد والمنزل ، والكل عنده سواء فى توجيه العناية والاستفادة من علمه ونشر سنة النبى صلى الله عليه وسلم فوجد فيه العلماء أنه الأمل المرجو والمرجع الأصيل فأقبلوا عليه للاستفادة منه ومثل البخارى فى اخلاصه للعلم وقوته يهمة أن يرضى نهم الناس ارضاء لله وأن يكون النفع عاما للجميع وليس لديه من الوقت فسحة للدرس الخاص وليس فى نفسه الدافع الى التقرب الى الأمير على حساب مصلحة الغير لأنه استمد جاهه واحترامه من سلطان العلم وشعور العالم برضاء ربه وسيره فى طريقه وتأدية رسالته يكسب العالم سعادة كاملة وعزاء وسلطانا يرى نفسه فى موضع كريم غير محتاج الا لله وحده ولما طلب أمير بخارى خالد بن أحمد أن يأتيه بكتبه حتى يسمعها له ولأولاده فى قصره خاصة رفض البخارى أن يستجيب لطلبه وقال : « فى بيت العلم والحلم يؤتى » فأفهمه أن العلم يسعى اليه فراسله الأمير طالبا أن يقصد مجلسا لأولاده لا يحضره غيرهم ويحضر الأولاد اليه فامتنع أيضا وقال « لا يسعنى أن أخص بالسماع قوما دون آخرين » قال أبو سعيد بكر بن منير البخارى « بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلى والى بخارى خليفة بن طاهر الى محمد بن اسماعيل أن احمل الى كتاب الجامع والتاريخ وغيرهما لأسمع منك فقال محمد بن اسماعيل لرسوله قل له انى لا أذل العلم ولا أحمله الى أبواب السلاطين فان كان لك الى شىء منه حاجة فاحضرنى فى مسجدى أو فى دارى وان لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامننى من الجلوس ليكون لى عذر عند الله يوم

(١) طبقات الشافعية ج ٢ ص ٦٦

القيامة لأنى لا أكنم العلم لقول النبی صلی الله علیه وسلم :

« من سئل عن علم فكتمه ألجمه بلجام من نار » فكان سبب الوحشة بينهما (١) .

وفاة البخارى

وفى سن الثانية والستين بعد حياة حافلة بالعلم خرج البخارى الى خرتنك قرية من قرى سمرقند ونزل ضيفا على أحد أقربائه غالب بن جبريل قال غالب فسمعت ليلة وقد فرغ من صلاة الليل يقول فى دعائه :

(اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضنى إليك) وأقام فى خرتنك أياما فمرض حتى وجه اليه رسول من سمرقند يلتسون منه الخروج اليهم فأجاب وتهاى للركوب ولبس خفيه وتعمم فلما مشى عشرين خطوة أو نحوها الى الدابة ليركبها وأنا آخذ بعضده قال « أرسلونى فقد ضعفت » فأرسلناه فدعا بدعوات ثم اضطجع فقبضى وكان ذلك ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ بعد أن ملأ الدنيا نورا بأحاديثه عن النبی صلی الله عليه وسلم وترك الأثر الخالد الذى ينير الطريق أمام البشرية ويهديها الصراط المستقيم رحمه الله رحمة واسعة وجزاء عن المسلمين وعن الانسانية بقدر ما قدم من خير.

مكانة البخارى فى عصره

ان أبا عبد الله البخارى بعلمه وعقله وخلقه ودينه وصل الى درجة رفيعة فى الكمال الانسانى أجبرت الدنيا بأن تتطلع اليه وانطلقت الألسن والقلوب بالثناء عليه ورغم نباهة شأن شيوخه

(١) تاريخ بغداد ص ٢٣ ج ٢

وأقرانه وعلماء عصره الزاهر بالعلم فانه استطاع أن يصل فى سلم الارتقاء الى درجات عالية تصعب على أفذاذ العلماء . وقد تتابعت الروايات فى نباهة شأنه وتقدمه والشهادة له بالامامة فى العلم واكتظت كتب الطبقات بالاسهاب فى هذا المعنى اسهابا لم يتوفر فى أى ترجمة من تراجم العلماء والمقررون له الشاهدون بفضلهم على حد تعبير الامام النووى هم الأعلام أئمة المسلمين أولو الورع والدين والنقاد والمتقون الذين لا يجازفون بالعبارات بل يتأملونها ويحرونها ويحافظون على صيانتها أشد المحافظات ، والناظر يجد أن هذه الروايات انما تمثل اجماع المسلمين فى عصر البخارى اذ هى تشع من مراكز اشعاع العلوم بالعالم الاسلامى ولم يقتصر ذلك على أهل بلد بعينه ، وقد نسق الخطيب البغدادى هذه الروايات وقسمها بحسب أصحابها الى فصول ممتعة تبين أن مكانة البخارى مكانة عالمية . وقد طبقت الآفاق وأن علمه أشرق على دنيا الاسلام فى عصره وأن له الأثر الحسن فى كل بلد بما تركه فيه من علم نافع وخلق كريم ، وذكر هذه الروايات الذهبى فى سير أعلام النبلاء وذكرها باسهاب الخطيب البغدادى تحت العناوين الآتية :

« وصف البصريين ومدحهم للبخارى »
« وصف أهل الحجاز والكوفة » « ذكر البغداديين فضله » « قول أهل الراى فيه » ومن هذه الروايات قول محمود بن النصر أبو سهل الشافعى :

دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة وجالست علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن اسماعيل فضلوهم على أنفسهم وقال الامام أحمد بن حنبل ما أخرجت خراسان مثل محمد بن اسماعيل وعن موسى بن هارون الخمال يقول : عندى لو أن

أهل الاسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل محمد
ابن اسماعيل ماقدروا وكتب أهل بغداد الى محمد
ابن اسماعيل :

المسلمون بخير ما بقيت لهم

وليس يعدل حين تفتقد

وعن الترمذى قال : لم أر أحدا بالرى ولا
بخراسان فى معنى العلل والتاريخ والأسانيد
أعلم من محمد بن اسماعيل ويقول له تلميذه الامام
مسلم بن الحجاج لا ييغضك الا حاسد وأشهد أن
ليس فى الدنيا مثلك ويقول الحاكم أبو عبد الله
النيسابورى البخارى ، هو امام أهل الحديث
بلا خلاف بين أئمة النقل وقال عبد الله بن محمد
ابن سعيد بن جعفر : سمعت العلماء بمصر يقولون:
ما فى الدنيا مثل محمد بن اسماعيل فى المعرفة
والصلاح ثم قال عبد الله وأنا أقول قولهم وقال
الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقده:
لو أن رجلا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى
عن تاريخ محمد بن اسماعيل ويقول الحافظ
ابن حجر فى نهاية فصل الثناء على البخارى : ولو
فتحت باب ثناء الأمة عليه ممن تأخر عن عصره لفنى
القرطاس ونفدت الأنفاس فذاك بحر لا ساحل له
وبعد ما تقدم من ثناء مشايخه عليه لا يحتاج الى
حكاية من تأخر لأن أولئك أثنوا بما شاهدوا
ووصفوا بما علموا بخلاف من بعدهم فان ثناءهم
ووصفهم مبنى على الاعتماد على ما نقل اليهم وبين
المقامين فرق ظاهر وليس العيان كالخير .

مؤلفات الامام البخارى

وللامام البخارى غير الجامع الصحيح مؤلفات
فى تاريخ الرجال وأحوالهم ومؤلفاته هى خير دليل
على سعة أفقه ومقدرته فى معرفة أحوال الرواة

وتقدمه على غيره فى هذا الشأن وخير شاهد
يؤكد بصحة جامعه الصحيح والثقة فى كل
مروياته .

التاريخ الكبير

وهو بحق على حد تعبير طبعة جمعية دائرة
المعارف العثمانية سنة ١٣٦١ هـ « تأليف الحافظ
النقاد شيخ الاسلام جبل الحفظ وامام الدنيا أبى
عبد الله البخارى » .

رواية أبى الحسن محمد بن سهل بن كردى
البصرى الفسوى عنه ورواية أحمد بن عبد الوهاب
بن محمد بن موسى الغندجاني عنه ورواية الشيخ
الجليل أبى الحسن عبد الحق بن عبد الخالق بن
أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف عنه .

وقد حاول (١) فيه استيعاب الرواة من الصحابة
فمن بعدهم الى طبقة شيوخه ، والكتاب ثمانية
أجزاء فى أربعة مجلدات ضخمة رتبته على حروف
المعجم وبدأه بالمحمدين تكريما لاسم الرسول صلى
الله عليه وسلم ووفق الى حسن المطلع فباركه
باسم الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبه ، وقد
جعل لكل اسم بابا ورتب الأسماء فى الباب الواحد
على حروف المعجم وراعى هذا فى الحرف الأول فى
أسماء الآباء أيضا ولم يراع ترتيب أبواب الأسماء
حسب حروف المعجم فذكر باب ابراهيم
ثم باب اسماعيل ثم باب اسحاق ثم باب أيوب ثم
باب أشعث ثم هكذا ويذكر اسم المترجم له وبعض
من روى عنهم وبعض من روى عنه وقد يذكر
حديثا له ، وقلما يذكر جرحا وتعديلا (٢) وبين

(١) انظر التاريخ الكبير فى دار الكتب المصرية تحت رقم
١٠٣٤٠ انظر الرسالة المستطرفة ص ٩٦ وتدوين السنة ص ٢٦٥
(٢) ولعله استغنى عن ذلك بكتابه الضعفاء والمتروكين .

الصحابي بالتنبيه عليه والتاريخ الكبير يعطى صورة واضحة عن سعة علم البخارى ومعرفته بالرواة ويضفى الثقة الكاملة على كتابه الجامع الصحيح حيث أن أى ناقد لم يبلغ مبلغه فى معرفة القوم على حد تعبير أستاذه اسحاق بن راهويه ويعجب الباحث من قوة هذه الموهبة التى جباها الله للبخارى والروحانية المباركة التى أمدته الله بها حتى يعلم أن الله أفاضها عليه عند صاحب الرسالة الروحانية « النبى صلى الله عليه وسلم » حيث ألفه حول المقام وقد ألف البخارى التاريخ الكبير فى مقتبل حياته قبل الجامع الصحيح يقول البخارى : فلما طعنت فى ثمانى عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين ، ثم صنف التاريخ الكبير فى المدينة عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فى الليالى المقمرة وقل اسم فى التاريخ الا وله عندى قصة الا أنى كرهت أن يطول وقد قبل التاريخ الكبير فى عصر البخارى من شيوخه ومن فى طبقتهم بالتقدير والاعجاب حتى ان شيخه الامام اسحاق ابن راهويه لم يتمالك أن قام فدخل به على الأمير عبد الله بن طاهر فقال أيها الأمير ألا أريك سحرا ؟ (٢)

وقال التاج السبكي : انه لم يسبق اليه وكل من ألف بعده فى التاريخ والأسماء والكنى ففعال عليه وقد جمع الحاكم من ظهر جرحه ممن ذكرهم فكلوا نحواً من ١٢٦ رجلاً ويصور لنا أبو أحمد الحاكم الكبير مدى أثر التاريخ فيما ألف من كتب ضخمة زخرت بها المكتبات الاسلامية مثل كتب أبى زرعة وابن أبى حاتم ومسلم بن الحجاج والغسانى وغيرهم وقد حمل البخارى لواء نهضة تاريخ الرواة

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٨ مخطوط بدار الكتب

المصرية .

كما حمل لواء نهضة تدوين الحديث فأصبح العصر الثالث العصر الذهبى والبخارى باعث نهضته فى تاريخ الرجال وتدوين الحديث .

يقول الحاكم : وكتاب محمد بن اسماعيل فى التاريخ كتاب لم يسبق اليه ومن ألف بعده شيئاً فى التاريخ أو الأسماء أو الكنى لم يستغن عنه فممن من نسه الى نفسه مثل أبى زرعة وأبى حاتم ومسلم ومنهم من حكاه عنه فالله يرحمه فانه الذى أصل الأصول .

والتاريخ الكبير طبع بمطبعة حيدرآباد الدكن بالهند طبعته جمعية دار المعارف العثمانية سنة ١٣٦١ هـ - ١٣٦٢ م فى أربعة مجلدات ضخمة جيدة على ورق جيد .

كتاب التاريخ الصغير (٢)

وهو كما عرفه الامام البخارى رضى الله عنه

كتاب مختصر عن تاريخ النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار وطبقات التابعين لهم ومن بعدهم ووفاتهم وبعض نسبهم وكناهم ومن رغب فى حديثه ، وابتدأ الجزء الأول بالتحديث عن أخبار مهاجرى الحبشة ومن مات فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ممن حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن مات فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ومن بعده من الخلفاء وتلاه الجزء الثانى وبه ذكر من مات فى خلافة عثمان وهكذا الى آخر الجزء السادس وبه ذكر من مات فى سنة ست وخمسين

(٢) والتاريخ الصغير طبع فى الهند بالخط الحبرى سنة ١٣٢٥ هـ الطبعة الاولى اعتنى بطبعه وتصحيحه العبد المسكين محمد محيى الدين الجعفرى الزينى وقدم له الأستاذ محمد حامد على والكتاب بمكتبة الأزهر رقم ٧٣٥ .

ومائتين وهو رواية أبى ذر عبد بن أحمد بن محمد ابن عبد الله الهروى والحافظ قال أخبرنا أبو على زاهر بن أحمد الفقيه السرخس بها قراءة عليه سنة ٣٨٩ تسع وثمانين وثلاثمائة قال أخبرنا أبو محمد ابن محمد النيسابورى قال حدثنا محمد بن اسماعيل البخارى :

كتاب الضعفاء (١)

ابتدأه مرتبا على حسب الحروف الهجائية مبتدئا بحرف الألف قال ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع بن جارية الأنصارى :

يروى عنه وهو كثير الوهم يروى عن الزهرى وعمر بن دينار يكتب حديثه . ابراهيم بن اسماعيل ابن أبى حبيبة المدنى الانصارى الأشهدى عن داود ابن الحصين - منكر الحديث ، وبعد أن انتهى من باب ابراهيم جاء باب من اسمه اسماعيل ثم من اسمه اسحاق ثم أيوب ثم باب الباء وهكذا الى باب الياء وجاء فى آخره بالكنى من الضعفاء .

كتاب الكنى (٢)

وقد ذكر البخارى فيه كنى من غلبت كنيته على اسمه ومن لم يعرف الا كنيته وابتدأ بحسب ترتيب الحروف الهجائية بعد لفظ أب أو أم ذكر فيه أولا باب ، أبو أميمة بن الأخنس وبعد ان انتهى من الألف جاء بالباء والتاء الى آخره ويذكر أحيانا الاسم مثال ذلك ترجمة رقم ٩٦٦ أبو ريحانه اسمه عبد الله وذكر فيه فى الرجال ٩٩٣ رجلا .

(١) وكتاب الضعفاء طبع فى الهند تصحيح محمد حامد على ومحمد محبى الدين الجعفرى وهو مجلد واحد مع كتاب التاريخ الصغير ومع كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائى وهو فى مكتبة الأزهر تحت رقم ٣٥٠ تاريخ

(٢) فى المكتبة الأزهرية تحت رقم ٣٥١٨ تاريخ طبع بدائرة المعارف العثمانية الأصغية حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣٦٠ هـ

وفى آخره الكنى من النساء واسم هانىء بنت أبى طالب هند وقال بعضهم اسمها فاخته واسم أم سلمة هند بنت أبى أميمة وأبو أمية اسمه سهل واسم أم حبيبة رملة وفى آخره هذا آخر كتاب التاريخ الكبير على حروف المعجم وفى آخره الكنى وذكر من غلبت كنيته على اسمه وعلى ذلك فهو جزء من التاريخ الكبير .

كتاب الأدب المفرد :

ذكر فيه البخارى جملة من الأحاديث النبوية العامة الداعية الى مكارم الأخلاق وحسن المعاملة وابتدأه بعد البسملة بباب قوله تعالى « ووصينا الانسان بوالديه احسانا » وروى الأدب المفرد عن البخارى أبو الخير أحمد بن الجليل البخارى الكرماني البزار وقد طبعه طبعة حجرية ببلد آره بالهند سنة ١٢٠٩ هـ ثم طبع بالاستانة بهامشه مسند أبى حنيفة سنة ١٣٠٩ هـ وبالقاهرة فى مطبعة التازى سنة ١٣٤٩ هـ ثم بالسلفية سنة ١٣٧٥ هـ مع تقديم التازى الأستاذ محب الدين الخطيب وتعليق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي وهو يقع فى طبعة التازى فى مائة واحد وتسعين صفحة قال فيه الحافظ بن حجر فى فتح البارى « وكتاب الأدب المفرد يشتمل على أحاديث زائدة على ما فى الصحيح وفيه قليل من الآثار الموقوفة وهو كثير الفائدة » ومن مؤلفاته أيضا :

رفع اليدين فى الصلاة - طبع الهند موجود بدار الكتب المصرية رقم ٢٣٣٢٧ ب .

خير الكلام فى القراءة خلف الامام - طبع الهند ثم الخيرية بالقاهرة .

التاريخ الأوسط كما ذكره كشف الظنون .

كتاب الأسربة ذكره الدارقطني على ما في الكشف .

أسامى الصحابة كما في الكشف .

بر الوالدين كما ذكره ابن حجر .

التفسير الكبير للقرآن - موجود بمكتبة الجزائر كما في دائرة المعارف الاسلامية وفي مكتبة باريس كما ذكره المستشرق « بروكلمان » على ما في أدب اللغة .

الجامع الكبير كما في الكشف .

خلق أفعال العباد كما في الكشف وقد طبع مع كتاب « العلو للذهبي »

كتاب العلل في الحديث ذكره الكتاني في المستطرفة ..

قضايا الصحابة والتابعين كما في تاريخ بغداد .

كتاب المسند الكبير ، كما في مقدمة الفتح .

كتاب الوجدان وهو من ليس له الا حديث واحد كما في الفتح .

كتاب المبسوط كما في المقدمة .

كتاب الهبة كما في المقدمة

ذكر فيه الشيوخ الذين أخذ عنهم كما ذكره ابن السبكي في الطبقات وذكر ابن النديم في الفهرست « كتاب سنن الفقهاء للبخارى ولم أره لغيره في المراجع الأخرى »

صحيح البخارى :

هو الكتاب الذى قال فيه العلماء بحق انه أصح كتاب بعد كتاب الله وهو الكتاب الذى أصبح البخارى به أمير المؤمنين فى الحديث وكتب له به

الخلود ورفع ذكره مقترنا بالصحيح من حديث رسول الله ، وان الاسم الكامل الذى سمي به أبو عبد الله البخارى كتابه (١) هو « الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ولما كان أسمى ما يتسم به الكتاب ويرفع من شأنه هو واسمه بالصحيح اشتهر بذلك اختصارا فأطلق عليه «صحيح البخارى» على أن البخارى نفسه كان يطلق عليه فى كثير من الأحيان اختصارا «الصحيح» قال أبو على الفسانى سعت البخارى يقول خرجت الصحيح من ستائة ألف حديث (٢)

الباعث على تصنيف البخارى للجامع الصحيح .

تفاعلت الأسباب الداعية لابرار هذا المؤلف الجليل .

أولا - الحاجة الى افراد الحديث الصحيح حيث كانت الكتب المصنفة قبله منها ما هو ممزوج بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومنها ما هو مشتمل على الصحيح وغيره فكانت الحاجة داعية الى افراد الحديث الصحيح ليخلص طالب الحديث من غناء السؤال والبحث .

ثانيا - مقدرة البخارى واكتمال نموه فى معرفة الحديث .

ثالثا - شعور العلماء بالحاجة وبمكانة البخارى فوجهت اليه الدعوة من منزل شيخه امام الحديث والفقه اسحاق بن راهويه بدعوة منه فى مجلس العلماء .

رابعا - قوى عزم البخارى وشرح صدره وملاؤه همة واقداما رؤية النبى صلى الله عليه وسلم

(١) المقدمة لابن حجر .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص ٤ .

وهو يذب عنه بمسروحة في يده وفسرت الرؤيا للبخارى بأنه يذب الكذب عن النبي صلى الله على وسلم يقول الحافظ بن حجر (١) .

فلما رأى البخارى رضى الله عنه هذه التصانيف « الموجودة فى عصره » واستنشق رباها واستجلى محياها وجدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين والكثير منه يشمل التضعيف فحركت همته لجمع الحديث الصحيح الذى لا يرتاب فيه أمين ، وقوى عزمه على ذلك ما سمعه من أستاذه أمير المؤمنين فى الحديث والفقه اسحاق بن ابراهيم العنظلى المعروف بابن راهويه قال ابراهيم بن معقل النسفى قال أبوعبد الله محمد ابن اسماعيل البخارى : كنا عند اسحاق بن راهويه فقال : لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فوقع ذلك فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع الصحيح (٢) وروى كنت عند اسحاق فقال بعض أصحابنا (٣) الخ ..

ويمكن الجمع بين الروایتين بأن اسحاق طلب منه أولا ثم طلب منه بعض الحاضرين تأكيدا لقول اسحاق ، وقال محمد بن سليمان بن فارس سمعت البخارى يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكأني واقف بين يديه ويدي مروحة فسألت بعض المعبرين فقال لى : أنت تذب عنه الكذب فهو الذى حملنى على اخراج الجامع الصحيح (٤) .

مدة تأليف الجامع الصحيح ومكانه :

لقد صنف البخارى جامعه الصحيح على مكث ومهل رغم محصله العلمى الزاخر لأنه توخى فيه

الدقة الفائقة والعناية النادرة فصنفه فى ستة عشر عاما فكان يعد نفسه لكل حديث بالغسل والصلاة قال البخارى : ما كتبت فى كتاب الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك فصليت ركعتين (٥) وقال : صنف الجامع الصحيح لست عشرة سنة وخرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة بينى وبين الله عز وجل (٦) أما مكان تأليفه فقد قال عبد القدوس ابن همام : سمعت عدة مشايخ يقولون حول البخارى تراجم جامعه بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره ، وكان يصلى لكل ترجمة ركعتين (٧) وروى عن البخارى أنه قال : صنف كتاب الجامع فى المسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثا الا بعدما استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته (٨) وفى شرح البخارى للنووى صنف البخارى صحيحه ببخارى وقيل صنفه بمكة قال الامام النووى والجمع بين هذا كله ممكن بل متعين فانا قد قدمنا عنه أنه صنفه فى ست عشرة سنة فكان يصنف منه بمكة والمدينة والبصرة وبخارى ، والله أعلم .

ورأى الحافظ فى الجمع بين هذه الروايات أنه ابتداء تصنيفه ووضع التخطيط العام للكتاب كسودة فى المسجد الحرام ثم أكمله وبيضه فى بخارى وغيرها واستدل على قوله بأن البخارى أقام فى تصنيفه ست عشرة سنة وأنه لم يجاور بمكة هذه المدة كلها وهذا هو رأى .

شرط أحاديث الصحيح وقيمتها :

من أمتع ما قيل فى هذا المعنى وأدقه قول

(٥) الوفيات ج ١ ص ٦٥٠ وتهذيب لابن حجر ج ١

ص ٤٩ .

(٦) شرح البخارى للنووى ص ٧

(٧) مقدمة الفتح ج ٣ ص ٢٠٢

(٨) المقدمة ج ٣ ص ٢٠٢

(١) المقدمة ج ١ ص ٦ لابن حجر .

(٢) تدريب الراوى ص ٢٤ للسيوطى

(٣) تاريخ بغداد ص ٢ ج ٨ وتهذيب الأسماء للنووى

(٤) كشف الظنون ص ٥٤٤ شرح البخارى للنووى ص ٧

مقدمة الفتح ج ١ ص ٤

الحافظ بن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ في مقدمة كتاب النكت (١) « مختصر فتح الباري » فقد استخلص منهج البخارى فى شرطه من طريقتين :

الأول - من تسمية البخارى نفسه لكتابه .
الثانى - من الاستقراء ومن تصرفه .
فأما أولا فانه سماه الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، فعرفنا بقوله «الجامع» أنه لم يختص بصنف دون صنف ولهذا أورد فيه الأحكام والفضائل والأخبار المحضة عن الأمور الماضية وعن الأمور الآتية وغير ذلك من الآداب والرفاق ، وبقوله «الصحيح» أنه ليس منه شيء ضعيف عنده ويصرح بذلك قوله : ما أدخلت فى الجامع الا ماصح ، وبقوله المسند أن الأمر الأصلى تخريج الأحاديث التى اتصل اسنادها ببعض الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم سواء كان من قوله أو فعله أو تقريره وأن ما وقع فى الكتاب مما يخالف ذلك انما وقع فيه تبعا عرضا لا أصلا مقصودا فهذا ما عرف من كلامه (٢)

ثانيا وأما ما عرف بالاستقراء من تصرفه فمحتاج أولا الى التعريف بالصحيح « عنده وعند غيره » وهو أن يكون الاسناد متصلا وأن يكون كل من رواه عدلا متصفا بالضبط فان قصر احتاج الى ما يجبر ذلك التقصير ويكون الحديث مع ذلك قدخلا من أن يكون معلولا أى فيه علة قاذحة وأن يكون شاذا أى خالف رواية من هو أكثر عددا منه وأشد ضبطا . مخالفة تستلزم التنافى ويتعذر معها الجمع الذى لا يكون متعسفا .

(١) مخطوط بمكتبة الازهر الشريف .

(٢) النكت لابن حجر وهو مختصر الفتح مخطوط بمكتبة الازهر وصل فيه الى كتاب الايمان والعلم وقد ألفه بعد كتاب فتح البارى .

ثم كان ابن حجر دقيقا وعظيما فى زيادة ايضاحه بايضاح معنى الاتصال عند المحدثين وعند البخارى فبين شرط البخارى فى « المعنعن » .

وما فى حكمه من اشتراط اللقاء مع المعاصرة والثقة وعدم التدليس فقال الاتصال عندهم أن يعبر كل من الرواة فى روايته عن شيخه بصيغة صريحة فى السماع منه كسمعت وحدثنى وأخبرنى أو ظاهره فى ذلك « كعن » و « ان فلانا قال » ثم بين أن شرط حمل المعنعن « القسم الثانى من الصيغ عند البخارى » أن يكون الراوى قد ثبت له لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبه وقد جعل لكل من حدث عنه ولو مرة واحدة مع اشتراط أن يكون ثقة فاذا ثبت ذلك عنه حملت عنده عنعنته على السماع وعرف من هذا أن شرط البخارى فى الاتصال أقوى وأتقن حيث اشترط عنده التلقى والمعاصرة بخلاف مسلم فقد اكتفى بالمعاصرة وطريق ثبوت اللقاء عند البخارى (٣) يدور عنده على التصريح بالسماع فى اسناد فاذا ثبت السماع عنده فى موضع يحكم به فى سائر المواضع »

ويبدع ابن حجر فى تفصيله الدقيق واضعا أمام الباحث منابع الكلام ومصادره ومراكزه قائلا: وكذا عرفنا بالاستقراء فى تصرفه فى الرجال الذين يخرج عنهم أنه ينتقى أكثرهم صحبة لشيخه وأعرفهم بحديثه وان خرج من حديث من لا يكون بهذه الصفة فانما يخرج فى المتابعات وحيث يقوم له قرينة بأن ذلك مما ضبطه هذا الراوى بمجموع ذلك وصفه الأئمة قديما وحديثا بأنه أصح الكتب المصنفة أ هـ .

(٣) نبض البارى للكشميرى علامة الهند .

تراجم صحيح البخارى :

ان تراجم الجامع الصحيح للبخارى تعطى صورة واضحة ان مصنفه صافى الذهن حاد الذكاء قوى الحفظ يمتاز بفهم عميق للكتاب والسنة وله المقدرة التامة على استنباط الأحكام منها وحسن التصرف فى ترجمته وكأن الكتاب والسنة صفحة مرسومة فى ذاكرته يقطف منها ما شاء استشهادا أو استنباطا فحق لامام الحديث النووى (١) أن يقول : ان البخارى رحمه الله كانت له الغاية المرضية من التمكن فى أنواع العلوم وأما دقائق الحديث واستنباط اللطائف منه فلا يكاد أحديقاربه فيها وقد شهد له أعلام المحدثين من شيوخه وغيرهم. وإذا نظرت فى كتابه جزمت بذلك لاشك ثم ليس مقصودنا الاقتصار على الحديث وتكثير المتنون بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها من الأصول والفروع والزهد والأدب والأمثال وغيرها من الفنون كما قال الاسماعيلى : ان أحدا من المحدثين لم يبلغ من التشدد مبلغ أبى عبد الله ولا تسبب الى استنباط المعانى واستخراج لطائف فقه الحديث وتراجم الأبواب الدالة على ماله وصلة بالحديث المروى فيه تسببه والله الفضل يختص به من يشاء وقال الحافظ بن حجر فى شأن صحيح البخارى ثم رأى ألا يخلية من الفوائد الفقهية والنكت الحكيمة فاستخرج بفهمه من المتنون معانى كثيرة فرقها من أبواب الكتاب بحسب تناسبها واعتنى بآيات الأحكام فاتترع منها الدلالات البديعة وسلك فى الإشارة الى تفسيرها السبل الوسيعة (٢) ويقول الكشميرى

لذا فقد أجمع علماء الحديث كابن حجر والسيوطى والنووى بأن أحاديث البخارى ، يجب العمل بها ويقول فى ذلك المحدث الحافظ أبو عمرو ابن الصلاح جميع ما حكم به الشيخان « البخارى ومسلم » مقطوع بصحته والعلم النظرى حاصل بصحته فى نفس الأمر لأن الأمة تلقت ذلك بالقبول « سوى من لا يعتد بخلافه ووفاقه فى الاجماع وقد قال الجوينى لو حلف انسان بطلاق امرأته أن مافى كتابى البخارى ومسلم مما حكم بصحته من قول النبى صلى الله عليه وسلم لما لزمه الطلاق ولا حث فيه لاجماع علماء المسلمين على صحته » .

عدد أحاديث صحيح البخارى وأبوابه :

قال الحافظ بن حجر العسقلانى : انى قد عدتها فبلغت بالمركررسوى المعلقات والمتابعات سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعين حديثا قال وجملة مافيه من التعليق ألف وثلاثمائة وواحد وأربعون وأكثرها مخرج من أصول متونه والذى لم يخرجها مائة وستون قال وفيها من المتابعات والتنبيهات على اختلاف الروايات ثلاثمائة وأربعة وثمانون وقال فى المقدمة : ان ماوقع فى صحيح البخارى من الأحاديث الموصولة بدون تكرار ألف حديث وأربعمائة وستون حديثا ومن المتنون المعلقة والمرفوعة التى يصلها فى موضع آخر من الجامع مائة وتسعة وخمسون حديثا فجميع ذلك ألف حديث وستمائة وثلاثة وعشرون حديثا وقال النوقادى صاحب مفتاح الصحيحين : جميع أبواب صحيح البخارى على ما أحرزته ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثون وقد أيد كلام ابن حجر بعد أن ذكر فصلا عدد فيه مائلك صاحبى فى صحيح البخارى فى الموصول بلا تكرير فوجدها ٢٦٠٢ كما قال ابن حجر .

(١) شرح البخارى للنووى ج ١ ص ٦

(٢) مقدمة فتح البارى ج ١ ص ١

في تراجمه ، ان المصنف سابق غايات وصاحب آيات في وضع التراجم كما لم يسبق به أحد من المتقدمين ولم يستطع أن يحاكيه أحد من المتأخرين فهو الفاتح لذلك الباب وصار الخاتم ، وضع في تراجمه آيات تناسبها مما يتعلق بهذا الباب ونبه على مسائل مظان الفقه في القرآن بل أقامها منه ودل على طرق التأسيس من القرآن وبه يتضح ربط الفقه والحديث بالقرآن بعضه مع بعض ومن رفعة اجتهاده ودقته في الاجتهاديات وبسطها في التراجم قيل ان فقه البخارى في تراجمه ، فكان في تراجم المصنف علوم متفرقة من الفقه وأصوله والكلام وما إليها بايجاز واختصار ١٠هـ .

والباحث في الجامع الصحيح يجد أن البخارى رحمه الله قد أورد في كتابه من الأحاديث الجامعة لجل مقاصد العلم ومن ذلك العقيدة المتمثلة في الوحي وكتاب الايمان في أول كتابه وكتاب التوحيد في آخره والتفسير الرائع بالمأثور في صحاح الأحاديث وفتاوى الصحابة والتابعين المتمثل في كثير من أبوابه وخاصة في كتاب التفسير في صحيحه ومن السيرة العطرة المتمثلة في كتاب المغازي ومن الأدب النبوي الرائع المتمثل في كتاب الأدب ومن تعرض لطرق التلقى في كتاب العلم وفضله واصطلاحات المحدثين المتمثلة في كتاب العلم وفيه جاء بصيغ الآراء مثل باب قول المحدث حدثنا أو أخبرنا وأنبأنا وباب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم وباب كتابة العلم وقيمتها على أدلة ثابتة من السنة وتعرض لمسائل أصولية يقيمها على أساس متين ميسر من السنة ككتاب ماجاء في اجازة خبر الواحد والى علاقة الكتاب بالسنة والدعوة الى التزامها وان على موائدهما كل خير كما يتمثل ذلك في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة

ومن مقاصد الفقه وفروعه وغير ذلك من الأبواب المنبثة في صحيحه متفرقة متعددة عدد فروع العلم الاسلامى ، واستطاع بمهارته أن ينظمها في دقة وافية ويبرهن على أن المحدث المتمكن من سنة رسول الله يجد فيها كل درر العلم ويمكن أن يكون من أقصر الطرق وأوفاهها مفسرا لكتاب الله ومؤرخا اسلاميا لسيرة رسول الله ومتكلما عن هدى وبصيرة في العقيدة وفقها قانونيا في أحكام الدين وأخلاقيا مؤدبا بأداب النبوة وأخلاقها وغير ذلك من فروع العلم التى تشهد أن من الجهل الصريح أن يفهم المحدث المتمكن أنه بمعزل عن فروع العلم خاصة عن التفسير الذى هو أساس بيانه وكيف تقتصر همته فى شيء وهو المتبوع هدى الرسول الداعى الى الله باذنه والسراج المنير ، من أجل هذا العموم الجامع فى صحيح البخارى كان من شروحه ما وصل الى أكثر من أربعة وعشرين مجلدا كالكرمانى ومع ذلك سعى البخارى صحيحه مختصرا ، والواقع أنه اختصار العارف الموجز فى دقة من غير اخلال وان اختصاره انما هو بالنسبة الى كثرة مقاصده وكيف أورد به هذا الحجم مع أنه موسوعة علمية جامعة مستوفاة ، ان الذى ساعد على ذلك مقدرته وتفننه بمسلكه فى تراجمه فى إعادة الحديث واختصاره وتقطيعه والالما كفى هذا العدد من الأحاديث التى فيه على كثرتها لأن يوفى هذه الثروة الفريدة العامة الشاملة ولو لم ينهج هذا النهج لاحتاج الى مجلدات لانهاية لها حتى يوفى هذه الكتب والأبواب وقد ألزم نفسه باخراج الحديث الصحيح لذاته فى مسنده بل ألزم نفسه ألا يخرج كل صحيح عنده أو عند القوم فى صحيحه فالتزم بخالص الصحيح لذاته وصفوته مشددا على نفسه بشروطه وهذا ما جعله امام المحدثين

وان أمت فما أنا عليكم بحريص . وقال ابراهيم
« ولكن ليطمئن قلبي ».

والمجتهد والفقهاء ، يقول صاحب الفيض (١) ثم ان
المصنف رحمه الله لما شدد في شروط الأحاديث
حتى أغمض عما حسبه حسنابل صحيحا أيضا
قلت ذخيرة الحديث في كتابه ثم لما أراد أن يتمسك
منها على جملة أبواب الفقه اضطر الى التكرار
والتوسع في وجوه الاستدلال وذلك من كمال
بداعته ومن لادراية له بغوامضه ولا ذوق له في
علومه فيتعجب من صحيحه ولا يدري أن التوسع
فيه من أجل توضيحه على نفسه في مادة الأحاديث
فيستدل بالإيماءات ويكتفى بالإيماءات .

فقال معاذ : اجلس بنا ثومن ساعة . وقال
ابن مسعود اليقين الايمان كله وقال ابن عمر يبلغ
العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في
الصدر ، وقال مجاهد شرع لكم : أو صاك يا
محمد واياہ دينا واحدا وقال ابن عباس شرعة
ومنهاجا سبيلا وسنة . باب دعاؤكم ايمانكم حدثنا
عبيد الله بن موسى قال أخبرنا حنظلة بن أبي سفيان
عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر رضى الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بنى
الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله . وأن
محمدًا رسول الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة
والحج وصوم رمضان « باب أمور الايمان وقول
الله تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه
ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين
وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء
وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم
المتقون ، قد أفلح المؤمنون « الآية » حدثنا عبد الله
ابن محمد قال حدثنا أبو عامر العقدي قال حدثنا
سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار عن أبي
صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال : الايمان بضع وستون شعبة
والحياء شعبة من الايمان ..

أعيا فحول العلم حل رموزها ما
أبداه فى الأبواب من أسرار

نصوص من كتاب الجامع الصحيح

النص الأول

(٢) باب الايمان وقول النبي صلى الله عليه
وسلم بنى الاسلام على خمس وهو قول وفعل
بزيد وينقص قال الله تعالى : ليزدادوا ايمانا مع
ايمانهم ، وزدناهم هدى ، ويزيد الله الذين
اهتدوا هدى ، والذين اهتدوا زادهم هدى
وآتاهم تقواهم ، ويزداد الذين آمنوا ايمانا
وقوله « أيكم زادته هذه ايمانا : فأما الذين آمنوا
فزادتهم ايمانا . وقوله جل ذكره « فاخشوهم
فزادهم ايمانا . وقوله تعالى : ومازادهم الا ايمانا
وتسليما . « والحب فى الله والبغض فى الله من
الايمان » وكتب عمر بن عبد العزيز الى عبدى بن
عدى أن للايمان فرائض وشرائع وحدودا وسنا
فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها
لم يستكمل الايمان فان أعش فسأينها لكم لتعملوا بها

باب اذا لم يكن الاسلام على الحقيقة وكان
على الاستسلام أو الخوف من القتل لقول الله
تعالى : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن

(١) فيض البارى ج ١ ص ٤
(٢) كتاب الايمان ج ١ ص ١٠ من صحيح البخارى .

قولوا أسلمنا » فإذا كان على الحقيقة فهو على قوله جل ذكره « ان الدين عند الله الاسلام » - وفي هذا النص كما في غيره ترى شخصية البخارى في ترجمته يشرح بها الحديث ثم يأتى بالآيات القرآنية الدالة على معنى الحديث وحسن رأيه فيه ثم بقول السلف بما يؤيد المعنى المترجم له .

وهو بترجمته « الايمان قول وعمل يزيد وينقص » يفصل عن بينة بالبرهان فى مشكلة شغلت علماء الكلام ويرد على من قال بأن الايمان عقيدة فقط وسار فى كتاب الايمان كله على هذا الرأى مترجما للأعمال على أنها من الايمان وبين بأن الايمان يزيد وينقص . وأن الايمان يتفق مع معنى الاسلام على الحقيقة - ان الدين عند الله الاسلام - وحينما يختلف فانما يكون الاسلام بمعنى الاستسلام والخوف فقط فرد دليل المعارضين وأيد رأيه على أحسن وجه .

النص الثانى

(١) «باب قول الله تعالى : من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » حدثنا محمد ابن سعيد الخزازى حدثنا عبد الأعلى عن حميد قال سألت أنسا حدثنا عمرو بن زراراة حدثنا زياد قال حدثنى حميد الطويل عن أنس رضى الله عنه قال : غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يارسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع

(١) من كتاب الجهاد والسير من صحيح البخارى ج ٢ ص ١٣٨

فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال : اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال ياسعد بن معاذ : الجنة ورب النضر انى أجدر ربيها من دون أحد ، قال سعد : فما استطعت يارسول الله ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقدمثل به المشركون فما عرفه أحد الا أخته بينانه قال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » الى آخر الآية وقال : ان أخته وهى تسمى الربيع كسرت ثنية امرأة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص فقال أنس : يارسول الله والذى بعثك بالحق لا تكسر ثنيته فرضوا بالأرث وتركوا القصاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره « باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا »

حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن عمرو عن أبى وائل عن أبى موسى رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن فى سبيل الله ؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله « باب ظل الملائكة على الشهيد » حدثنا صدقة بن الفضل قال أخبرنا ابن عيينة قال سمعت محمد بن المنكدر أنه سمع جابرا يقول : جىء بأبى الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد مثل به ووضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه فنهانى قومى فسمع صوت نساءحه فقيل ابنة عمرو أو أخت عمرو فقال لم تبكى ؟ أولا تبكى ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها .

فترى أن البخارى يوب بالآية الكريمة فى معنى الجهاد وصدق المؤمنين فيه ثم يشرحها بالحديث الوارد فى سبب نزولها ثم يتبع ذلك بالأبواب المناسبة فى مكانة الشهيد والمجاهد فى تناسق المحيط بالكتاب والسنة .

النص الثالث

(١)

« باب اثم مانع الزكاة وقول الله تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعباب آليم يوم يحصى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » حدثنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد أن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج حدثه أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قال النبى صلى الله عليه وسلم : تأتى الابل على صاحبها على خير ما كانت اذا هو لم يعط فيها حقها تطؤه بأخفافها وتأتى الغنم على صاحبها على خير ما كانت اذا هو لم يعط فيها حقها تطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها وقال ومن حقها أن تحلب على الماء قال ولا يأتى أحدكم يوم القيامة بشارة يحملها على رقبته لها يعاد فيقول يا محمد فأقول لا أملك لك شيئاً قد بلغت ولا يأتى بعبير يحملها على رقبته له رغاء فيقول يا محمد فأقول لا أملك لك شيئاً قد بلغت حدثنا على بن عبد الله حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ٢٤٣

رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شذقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا « ولا يحسبن الذين يخلون الآية » باب ما أدى زكاته فليس بكنز « لقول النبى صلى الله عليه وسلم : ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وقال أحمد بن شبيب بن سعيد حدثنا أبى عن يونس عن ابن شهاب عن خالد بن أسلم قال خرجنا مع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فقال أعرابى أخبرنى قول الله : والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله قال ابن عمر رضى الله عنهما : من كنزهما فلم يؤد زكاتها فويل له انما كان هذا قبل أن تنزل آية الزكاة فلما أنزلت جعلها الله طهرا للأموال .

ف نجد قوة فهم البخارى فى ترجمته للحديث وجمعه بين القرآن والسنة واستدلاله بالحديث على الترجمة والاستدلال والاستئناس بأقوال الصحابة فى معنى الحديث وسعة معرفته للأحاديث التى ينسق بها الأبواب فرضى الله عنه وجزاه عن السنة خيرا . وكتابه يعتبر مجموعة شاملة لمقاصد التشريع الاسلامى .

أثر صحيح البخارى فى ازدهار السنة

لقد تسلم الامام البخارى لواء الحديث فى مطلع القرن الثالث الهجرى وسلك به منهجا قويا أوصله درجة بالغة فى الصحة والكمال فقد كان كتابه الخالد الجامع الصحيح له فضل سبق فى هذا القرن الذى ازدهر بأئمة السنة فالامام مسلم وأبو عيسى الترمذى والامام النسائى والامام أبو داود السجستانى وكتب هؤلاء الأئمة التى أصبحت المرجع فى الأحاديث انما ظهرت بعد الجامع

الصحيح وقد كان له أثر عظيم فى توجيه مؤلفى هذه الكتب واجادة مصنفىها وكان البخارى موضع تقديرهم وامام قائلتهم وأستاذهم جميعا الذى تأثروا به وشهدوا له .

شهد للبخارى تلميذه الأول الامام مسلم ووصفه بأبلغ وصف فأطلق عليه أنه سيدالمحدثين وطبيب الحديث فى علله (١) ويقول أبو عيسى الترمذى الامام الجليل فى فضل الامام وعلمه لم أر بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ ومعرفة الاسانيد أعلم من محمد بن اسماعيل ويذكر الامام النووى أن من رواة البخارى الأعلام الامام مسلما ابن الحجاج وأبا عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى وأبا عبد الرحمن النسائى وأبا زرعة الرازيين وكل هؤلاء أئمة الأعلام (٢) وقال الاسماعيلى عن الامام البخارى فى المدخل أنه حاز سبق وبلغ الغاية وجمع الى ذلك حسن النية والقصد الى الخير ونفعه الله ونفع به وقد نحا نحوه فى التصنيف جماعة منهم الحسن بن على الحلوانى لكنه اقتصر على السنن ومنهم أبو داود السجستانى وكان فى عصر أبى عبد الله البخارى فسلكت فيما سماه سننا ذكر ماروى فى الشئ وإن كان فى المسند ضعف اذ لم يجد فى الباب غيره ومنهم مسلم بن الحجاج فكان يقاد به فى العصر فرمى مراره وكان يأخذ عنه أو عن كتبه الا انه لم يضايق نفسه مضايقة أبى عبد الله وروى

(١) مقدمة شرح البخارى للنووى ص ٧

(٢) التهذيب للنووى ج ١ ص ٧٤

عن جماعة كثيرة لم يتعرض أبو عبد الله للرواية عنهم وكل قصد الخير غير أن أحدا منهم لم يبلغ من التشدد مبلغ أبى عبد الله ولا تسبب الى استنباط المعانى واستخراج لطائف فقه الحديث وتراجم الأبواب الدالة على ماله صلة بالحديث المروى فيه تسببه والله الفضل يختص به من يشاء . وفى تقرير هذا المعنى يقول الحاكم أبو أحمد النيسابورى رحم الله محمد بن اسماعيل فانه ألف الأصول يعنى « أصول الأحكام من الأحاديث وبين للناس وكل من عمل بعده فانما أخذه من كتابه كمسلم بن الحجاج ولما كان صحيح البخارى أصح كتاب بعد كتاب الله وعرف العالم الاسلامى قديما وحديثا مكاتته السامية وكانت له القداسة فى نفوس العامة « والخاصة » وقررت دراسته فى مقدمة كتب السنة فى جامعات العالم الاسلامى عامة وفى الجمهورية العربية يدرس فى المعاهد الثانوية الأزهرية عامة بشرح الشرقاوى على الزيدى وفى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر يدرس بالدراسات العليا بشرح ابن حجر المسمى بفتح البارى . ومن منابر الاذاعة والتلفزيون والمساجد نسمع أحاديث الجامع الصحيح رواية البخارى فيوقن المستمع بصحته . ويقام فى آسيا الوسطى فى مدينة بخارى التابعة للاتحاد السوفيتى العيد الألفى لصاحب الجامع الصحيح الامام لبخارى فى هذه الأيام وقد دعى له ممثلو المسلمين فى العالم الاسلامى اعترافا بما قدم فى حراسته لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضى الله عنه .